# تعليق على حديث

## « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي .. »

محمد ياسر القضماني

الحمد لله والصلاة على سيدنا المعصوم رسول الله ﷺ وعلى آله ومن والاه وبعد :

فإنه وردتْ تعليقةٌ على حديث شريف في ( الرائد ٢٥٠ ) ضمن مقالي ( ألا نتوب ؟! ) ما ارتضيتها ، فأرجو نشر تعليقي ؛ لأنه يخص مقامه ﷺ :

الحديث هو : « **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مائَةَ مَرَّة** » [ رواه مسلم عن الأَغرّ المزني ] – كتاب الذكر والدعاء – باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه . فقد كُتبت تعليقة على ( ليغان ) هكذا : المراد هنا ما يتغشى القلب من الغفلة عن ذكر الله .

الذي ينبغي أن يُذكر هنا ما ارتضاه الأكابر من علماء هذه الأمة وعارفيها بمقامه الكبير ﷺ وحاشاه أن يغفل عن ربه لحظة ، وقد شرح هذا الإمام الغزالي – رحمه الله – فقال : لقد كان ﷺ لا يرقى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بُعداً بالإضافة إلى الثانية . فكان يستغفر الله من الأولى ، ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً في مقامه ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي** .. » الحديث . فكأن ذلك لترقيه إلى سبعين مقاماً ، بعضها فوق بعض ، أولها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ، ولكن كان نقصاناً بالإضافة إلى آخرها . فكان استغفاره لذلك ( من كتاب الصبر والشكر من كتاب الإحياء ) .

وقال الغزالي أيضاً – رحمه الله – في كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا من كتاب الإحياء : قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها ، وحق العبد أن يجتهد في كل نَفَس حتى يزداد فيه قرباً .. وكذلك قال عليه السلام : « **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي** .. » الحديث ، وإنما كان استغفاره من القدم الأول ، فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم الثاني .

وأقول حاشا أن تتغشَّى رسولَ الله ﷺ غفلة كغفلتنا وهو القائل : « **مَا منْكُمْ منْ أَحَد إلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ منَ الْجنِّ ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّه! قَالَ : وَإِيَّايَ ، إلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إلاَّ بخَيْر** » عن ابن مسعود – صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب تحريش الشيطان .. قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على مسلم : فأسلم برفع الميم وفتحها وهما روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه : أسلمُ أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الإسلام وصار مؤمناً ، لا يأمرني إلا بخير . واختلفوا في الأرجح منهما ..

قال القاضي – أي عياض – : واعلم أن الأمة مجتمعة على عِصْمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه ، وخاطره ، ولسانه .

هذا وقد ذكر الإمام النووي – رحمه الله – شروحاً لطيفة غالية في التعليق على ( لِيُغَانُ على قلبي ) منها :

قيل : هو همه بسبب أمته ، وما اطلع عليه من أحوالها بعده ، فيستغفر لهم .

وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته ، وأمورهم ، ومحاربة العدو ، ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك ، فيشتغل بذلك عن عظيم مقامه ، فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منـــزلته ، إن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال فهي نزول عن عالي درجته ، ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ، ومشاهدته ، ومراقبته ، وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين هو : السكينة التي تغشى قلبه لقوله تعالى : ﴿ ... **فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ** ... ﴾ [ الفتح : ١٨ ] ، ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار ، وملازمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه .

وقيل : يحتمل أن هذا الغين حال خشية ، وإعظام يغشى القلب ، ويكون استغفاه شكراً ، كما سبق – في شرحه على مسلم – .

ونسأل الله تعالى أن ينشلنا من غفلاتنا ، ويزجَّ بنا في نور معرفته ، وقُدْس تعظيمه ، وأن يزيدنا معرفة بقدر نبينا وقدوتنا وهادينا محمد ﷺ ، وأن ينفعنا بوُرَّاثه ، وخاصة الدعاة من آله ، ﷺ ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .